

السَّمَّاحُ عَبْدُ اللَّهِ
طَرْفٌ مِنْ أَخْبَارِ الْحَاكِي

الأعمال الشعرية - ١٥

السَّمَّاحُ عَبْدُ اللَّهِ

طَرْفٌ مِنْ أَخْبَارِ الْحَاكِي

- كتاب القصص -

شعر

السَّمَّاحُ عَبْدُ اللَّهِ

إِشَارَةٌ

* كتبت قصائد الديوان على فترات متباعدة من

٢٠٠١ وحتى ٢٠١١

* صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عن دار

الأدباء في يوليو ٢٠١٨

إِهْدَاءٌ

للحكاة المنشدة رفيقة الخطأ، وجارة الشجرات،
العارفة كل شيء، فقط تنتظر مواعيد البوح،
ومواسم الكلام.

خُطْبَةٌ "طَرْفٌ مِنْ أَخْبَارِ الْحَاكِي"

أما بعد،

فقد كنت في صغري أهياً نفسي لأن أكون
قصصاً يكتب الصغير من القصص أو روائياً يحكي
الملاحم الكبارَ والسيرَ الطوالَ، ويلاحق الشخصيات
الدرامية في أماكنها المتتالية، وفي محناتها المتتابعة،
وفي محاولاتها الدءوب للبحث عن الحق والخير
والعدل والجمال، وقد كتبت بالفعل عدداً من
القصص، نشرتُ بعضها هنا وهناك، لكنَّ الشعرَ ملأ
على وجداني كله، وسكن حجرات القلب كلها، وشدني

من يديّ الاثنتين، فسرت وراءه مغمضَ العينين،
مسلوبَ القوى، وكأنني أسيرُ إلى قدري.

لكن السردَ ظل يزاحم الشعر في حنجرتي، وظل
يلوح في الكثير من التفاعيل، وكأنه التميمة السحرية
التي تمنح النص فضاءه الواسع، حتى أصبح ملمحا
بارز الوضوح في شعري، والمتبع لدواويني السابقة،
سيجد في الكثير من قصائدها حكيا ممتلئا
بالشخص والامكان والعلاقات المشتبكة، وسيجد
سفرا وهجرة، وحكايات تنتهي نهايات مأساوية، أو
تترقب اكتمالا ما، حتى أن ديوانا كاملا سابقا لي جاء
كله شعرا سرديا، هو ديوان "أحوال الحاكي"، ولا
أظن إلا أن السرد سيظلُ معي، مرافقا خطاي
الشعرية، وملحا على موسيقا التفعيلات، ولست
أخاف من أحدهما على الآخر، بل ربما أراه مُكملا له.

ومتما لقصده الفني.

وديواني هذا إن هو إلا خطوة في الدرب، أنا فرحُ
به، أرجو أن تشاركني - عزيزي القارئ - فرحي به
وأن يحلو في عينيك كما أتمنى له.

السَّمَّاح عبد الله

بَدَأُ الْقَوْلَ

كم صائِنٍ عن قُبلة خَدَّهُ
سُلِّطَتِ الأَرْضُ على خَدِّه
وحاملٍ ثِقَلَ الثرى جِيدُهُ
وكان يشكو الضعْفَ
من عقْدِه
ورب ظمآنَ إلى مورِدِ
والموت لو يعلم في وِرْدِه.

أبو العلاء المعري

مُحَاذَاةُ الْأَلْقِ

كانت تحب طائرا له علامةُ
يفوت كل يوم في الغروب فوق دارها
فتشير من شباكها الواطيء عندما تراه
بالأصابع الحنون:
مع السلامة
وتملأ المساء بالغناء
انتظرتَه مرةً لم يأتِ
حتى ملّت الإقامة
قالت:
لعله علا على ميقاته

فصعدت للطابق الثاني

ولم يأت

تساءلت:

كل الطيورِ فوق دارتي حوامة

إلاه

ما الذي دهاه

وصعدت

وهكذا

في كل يوم ترتقي

حتى إذا لم يبق في البناية التي تسكنها طوابق

لكي تواصل الصعود

كي تختال وهي تجتلي مقامه

قالت:

وربما علا على سمائه

فأفردت يديها
وجربت أشواقها التي تراكمت عشرين ليلة وليلة
وخبَّطت في حفنة الهواء كالحمامة
كانت كلما ارتقت
يخف جسمها
كأنها تحملها غمامة
فتضرب الهواء في حنوشوقها العريانِ
كانت قطعة الوقتِ على امتداد شوفة الحنينِ
لا نهائية
وكان وجدها يقوم في الحشا
كأنه حديقة من الورود
أينعت
على شعاعةِ الشمس التي أطلت فجأةً
وكان الطائر الطوافُ يبدو كلما ارتقتُ

على مرمى ذراع واحدٍ
ثم يواصل اختفائه العالي
فلا ترى وراءه
ولا أمامه
فتضرب الهواء
ظلت تضرب الهواء
حتى لم يعد يقدر أن يبصرها أحد
من يومها
ولم تعد.

السِّرُّ

كانت الجنازة امتدت
وغطت سقف قريتي
من مدخل الحقول حتى أول المقابرِ
النسوةُ كن يلطنن الخدودَ
فانزويتُ خلف نخلةٍ
وكننت أبكي
ربتت عليّ جدتي
وأعطتني رغيفا ساخنا
وحفنةً من التمور
ومشيت بجوارها

سألتها:

يا جدي

كيف تركتِ النعشَ؟

والناسَ الذين يملئون سقف قريتي

من مدخل الحقول حتى أول المقابرِ؟

الشمسةُ كانت فوق رأسي غيمةً

وكان عرقي هاطلا

كانت بكمها تمسح جبتي

وتنزوي بي للجنيئة التي على يمين الداخلين للمسجدِ

قالت:

ليس ما تراه غير قصةٍ مكذوبةٍ

يقصها الرجالُ

حين يرغبون في احتطاب الوقت

واختطاف جملة من الكلامِ

والنساءُ حين يحكينَ على مصاطبِ المسامراتِ
هل تصدِّقُ الحكاياتِ التي تسيِّرُ في شوارعِ القرى؟
انتظرتِ برهةً
حتى يجفَّ جسْمي كله
وحتى ألقطَ النبقَ الذي يسقطُ حولِ رجلي
التفتُ
لم أجدُها
وخرجتُ
كانتِ الناسُ كثيرةً حولي
وكان اللاحدُ المغبرُ الجبينُ
حاملاً على يديه جدتي
كأنها صغيرةٌ
وكانتِ النسوةُ يبكينَ
وكنتُ أكبشُ التمورَ في جيبي

وأفصل النوى بأصبعيَّ
ثم ألقيه بإبهامي إلى أعلى
أنا وحدي
ووحدها جدتي التي أعطتني الرغيفَ
والتمورَ
نعرف السرَّ
وهم
يرشون المياه فوق القبرِ
والنسوة يبكين.

الذَّهَابُ إِلَى شَجَرِ الزَّيْتُونِ

هل مرّ على شجر الزيتون الرجلُ العزّافُ؟
العائدُ من غنوته
وهو يشير إلى الطير الرفرافُ
كان حيًّا كالعذراءِ
وكان جميلا كالموسيقا
وهو يرتلُ خطوته
فوق ترابِ السكّةِ
وهو يعاين مطرَحَه بجوار الزرع الفرحانِ
وتحت نسيم الصفصافِ
حين رأني ابتسمَ

ونادى:

يا ليليُّ تعالِ

وجربِ تمشي في حرقِ الشمسِ

وبين نقيقِ الضفدعِ

وبريقِ الأصدافِ

وأنا

كنتُ أواخي بين نشيدي وعصافيرِ امرأةٍ

ليس لها حالُ فساتينِ نساءٍ

يمشين إلى شجرِ الرمانِ

مليحاتِ الأعطافِ

لكني رشرشتُ على تفعيلاتِ نشيدي

قطعةً من مائدةِ الليلِ الممدودةِ

للقمرِ السهرانِ

مددتُ يدي اليسرى للقمرِ

أَخْلِيَهُ سَهْرَانَ
وَلَوَّحَتْ لَهُ بِيَدِي الْيَمَنِ:
يَا فَجْرِيُّ وَيَا شَوَّافُ
خُذْ نَفْسَكَ وَتَعَالَ
وَجَرَّبْ تَعْلُو فِي خَطْوَتِكَ الْمَحْرُوقَةَ
فَوْقَ حَوَافِّ هَوَاءِ الْقَمَرِ السَّهْرَانَ
وَهَا هُوَ سَهْرَانُ
وَلَكِنِ الْعَائِدَ مِنْ غَنَوْتِهِ
لَمْ يَفْهَمْ
كَيْفَ أَخْلَى قَمَرًا يَسْهَرُ
فِي رَائِعَةِ الظَّهِيرِ
وَمَرَّ عَلَى شَجَرِ الزَّيْتُونِ
نَعَمْ
مَرَّ عَلَى شَجَرِ الزَّيْتُونِ

ولم يكُ محمولاً في نعشٍ
فوق الأكتاف.

الْحَائِكُ

هو الذي قمّصني قميصتي
أنا الذي وقفت أحمل التذكراتِ في عينيّ
واشتريتُ فضلة القماشِ
من حانوته
وكنت أنتوي أقصُّه
يستر مرفقيّ
أو أشدُّه
يطول ركبتيّ
فجمعت فائض الحوائج التي في البيتِ كلها
وزرته في غفلة من العيونِ

قلت:

يا قصاصُ قص لي على مقاسي
ونثرت ما حملته من فائض الحوائج التي في البيتِ

قال:

بعضها مستهلكٌ
وبعضها نقره الدود الذي
يسكن في الخزانة القديمةِ
انتق النفيسَ
كي أعطيك قطعة القماشِ
يا لَمَّامُ لَمَّ فضلةً تصلحُ
كي أعطيك فضلةً تسرُّ العينَ
والأشجارَ
والأنهارَ
قلت:

ليس يملك الفقير غير ما أتى به
وغير ما أبقى له أهلوه
غير ما أبقّت له مرارة النهارِ
استوصِ يا قصاصُ
لست باخلا
لكنني أنفقت في شتاء الخوف
قوتي كله
وأشهرُ الشتاء تضرب العظامَ
وعظامي هشةٌ
فقال:
لف حول بسطة المكانِ
قال:
نم على براح دكة الدكانِ
قاس طولي

قاس فضلة القماشِ

ثم قص الثوبَ

قال:

مُرَّ مرةً أخرى عليّ عندما يأتي الشتاء

والشتا أتى

وها ترونني بهذه القميصة التي عليّ

لا تلوموني أنا

وإنما هو الذي قمّصني قميصتي

وقال:

امشِ بها

فإنها إذا أتى النهارُ سُترةٌ

تزود عنك عين بصّاصي النهار والصوص والتجار

ثم نم بها إذا أتى الليلُ الكبيرُ

إنها منامةٌ

تصبح في الأحلام مركبا
وخيمةً
تصبحُ حانةً
ترقصُ فيها رقصتين تنتشي
يا صاديّ الجفونِ
أو تشربُ فيها رشفتين
ترتوي يا ظاميء الفؤادِ
فتصيرُ - إن رُويتَ - فارسا
حلوَ القميصِ
تشتهيه نسوةُ النوافذِ المعلقةِ
تَهْ بها
تصرلما تريدُ
وامشِ في الأسواقِ فرحانا
لتبلغَ الجبالَ

واخطُ في أكمامها
تخلصُ لك الدنيا بأسرها
يا سيدَ الخطا
ومنشدَ الموالِ
يا ربيبَ الفرحِ .

الرأي

منحتك عينها لتبصرها
يا أيها الأعمى
فلما أن رأيتَ
رأيتها عمياءَ كاسلَّةً عن الخطواتِ
فانطلقتُ خطاكِ
تسابق الشجراتِ
تبحث عن نهارٍ فاتنٍ
أو فضةٍ
تبرقُ بين الأخضر الممزوجِ بالأزرقِ
والبنيِّ في حنائهِ المغسولِ

أنت قضيتَ أعوامًا طوالاً
ليس تبصر غير لونٍ واحدٍ
فهل افترحتَ
وقد ملكتَ فضيحةَ الألوانِ أجمعِها؟.

دَرَجُ إِبرَاهِيمَ

إنا جَمَعْنَا حَفْنَةَ أَيامِ
مكسواتٍ بالفرح المنقوصِ لأجلِكَ
مندوراتٍ للرزقِ الصالحِ والمذمومِ
أطلقناكَ إلى طرقاتِ
متعرجةٍ
فيها ما قد خبأناه لكفيكِ
عطاءً مكتوباً للمحرومِ
فامشِ إلى آخر هذا الدربِ
وقف في منتصفِ السكةِ
حتى إن جاءتكَ امرأتانِ

على رأسهما نورٌ يتدَوَّرُ
وفراشاتٌ تفرش خطوهما
وتحوُمُ
قل لهما:
هذا حظي من نافلة الشعرِ
وتلك مقاديرُ مُخَبَّأَةٌ
تتبع خطوي الفرحانَ
وتسرى مع حلمي السهرانِ
تُسَيِّحُ ما يتبقي من شَوْفاني
حيث أسير
وحيث أقيمُ
خبيءٌ عينيك بمنظارِ
وادِّعِ أنك أعمى
حرِّك شفتيك

كأنك ترتجل الشعرَ
وتتلو الورد المحتومُ
امسك عكازاً
واضربه على الأرضِ
لكي تعرفَ سكتك المَعْوَجَّةَ والممدودةَ
والطرق الملتوية للقصد المعلومُ
ستقول الأولى للثانية:
لإبراهيم خُطا كملكِ
يعرف تدويرَةَ تفاح النسوةِ
لما يحمُرُّ التفاحُ ويتدلى
من فوق الشجر العطشانِ
ويطلب حصته من فرحٍ مقسومُ
ستقول الثانيةُ لها:
لا

إن له خطوات ملائِكِ
يرعى أحلامَ الفتياتِ
ويجلس عند نوافذهنَّ
لكي يهديهن العنبَ الناضجَ
والخمر الشفافَ
وباقات النرجسِ
والفل الملمضومُ
ستجرانك للحجرةِ
فامشِ كأنك تتحسَّسُ
واصعد في الدرج الخشبيِّ الصاعد لمقامهما
يتدوَّرُ من جدران البدرومِ
حتى ميقات الخشب المتعرش بزجاجِ مرقومِ
اصعد في الدرج الخشبي
كأنك تسمو

لا تتلفت للإمرأتين الجالستين على الكرسيين
تعترّ في خطوك
حتى تعثر في الحاجيات المتبعثرة على مسندة
ضعها في منتصف السجادة بينهما
واجلس
وانظر للشرفة
وكأنك تنتظرُ خبراً
تحمله في آخر هذا الليل نجوم
سيتيح لك المنظارُ الأسودُ أن تتحدثَ
وكأنك لا تعني أحداً بالقولِ
وأن تبصَّصَ
وكأنك لا تتشوّفُ
فترى موج البحر الهائج
يصطدم برمان الأولى لما تتعرّى

وهي تقوم
أورفة أجنحة طيور حائرة
حين تحوم في جدران حشا الثانية
إذا حدث الأولى من غير كلام
أو بكلام مكتوم
أما الإمرأتان
فسوف تتيح ستائر شباك النافذة
وشراعة بايهما الموصدة لطيرهما أن ينطلقا
ويدورا في أجواء الحجرة
حتى يصطدما بالسقف المنقوش
ويقعا مقتولين على كفيك
يرومان الرمان المحروم
قم ساعتها
واخط كما يخطو عليك

أعطي الأولى بجوار ستائر شباك النافذة
وفي ظلمات عماء الداكن
ظلاً مرشوشاً في صلبك
من دمك الملكي الأزرق
يسري بين ترائب من تتحرَّق في وحدتها
حتى تفتح عينها في حال
ما بين اليقظة والنومة
تتملئ هذا الحال المتأرجح بين شقاءٍ ونعيمٍ
وانهض كملك
منا
واخطُ إلى الثانية بخطوات ملاكٍ
يمشي
وكأن لا يمشي
خذ يدها

فُدْهَا يَا أَعْمَى نَاحِيَةَ الشَّرَاعَةِ
وَانْفِضْ عَنْ كَتْفَيْهَا آثَارَ اللَّيْلِ الْمَحْشُورِ بِأَهَاتِ الْمَتَدْرِبَةِ
عَلَى سَهْرِ اللَّيَالِي
وَرَشْرَشٍ مِنْ حَرِّ رَوَائِحِكَ عَلَى نَهْدَيْهَا
وَيَدَيْهَا
وَرَمَالِ حِرَائِقِهَا
حَتَّى تَغْمِضَ عَيْنَيْهَا فِي حَالِ
مَا بَيْنَ النَّوْمَةِ وَالْيَقْظَةِ
تَتَجَلَّى فِي هَالَاتِ النُّورِ الْمَتَدَوِّرِ
بَيْنَ نَعِيمٍ وَجَحِيمٍ
سَاعَتَهَا انْهَضْ
وَاتْرِكْ أَحْوَالَ الْمَتَدْرِبَتَيْنِ عَلَى الْأَشْوَاقِ لِأَحْوَالِهِمَا
وَكَأَنَّهُمَا مَا قَابَلْتَاكَ بِمَنْتَصِفِ السَّكَةِ
وَكَأَنَّكَ مَا زَرْتَهُمَا

وكان ما رشرشت على عطشهما من حرِّك
أو من برِّدك
وكان ما نقّضت الرملَ المنثورَ على عُريِّهما المطعومُ
وادلفُ للشارعِ
وارم النظارةَ
والعكازةَ
وارجع سيرتك الأولى
تمشي في الأسواقِ
وتسوقُ
تقعد في الباراتِ
وتتكلمُ
وتسير على خيط الفجرِ
وتتفرجُ
وتنامُ

وتحلّمُ

وتقومُ

عُدُّ بعد سنين إلى نفس الطرقاتِ

بلا منظارٍ أو عكازٍ

ستقابلك الإمرأتان بمنتصف السكةِ

فانظر للأفقي

وسر في خطو متئدي

وكانك ما قابلتهما من قبلُ

وما سرتَ كأنك تتحسّسُ جدران البدرومِ

ستناديك الأولى:

يا إبراهيمُ

ألا تذكرني؟

أنا من حملت طُفلك منذ سنين

وراء ستائر شباك النافذةِ

وكبر الطفلُ
إلى أن صار يسيرُ معي
أطولَ مني
يتزين كلَّ نهارٍ قُدَّامَ المرآةِ
يُقَلِّدُ مشيتك الملكيةَ
فتعالِ
وباركه
وعمِّده
وامنحه خرزَ الميقات الملمومِ
ستقول الثانيةُ:
ألا تذكرني يا إبراهيمُ
أنا من حملت جرحك منذ سنين أمام الشراعةِ
ومشيتُ به في طرقات اللهِ
يراه الناس وهو يقطرُ مني

فيقولون:

تبارك جرحك يا سيدة الفرح المنقوص

تعال

ابراً جرحي

فالطرقات امتلأت بدمي

حتى صار الطير الطيَّارُ يتابع قطراتِ دمائي

ويجيءُ إليَّ

لينثر حصته من قمحِ الحقل على كفيَّ

كأنُّ مزناً يتساقط من كرمِ غيومٍ

لا تتلقَّتْ للأولى

أو للثانيةِ

وواصل سيرك حتى آخر هذى الطرقِ

فإنَّا قد زودناك بفرحٍ مكسورٍ

وتصاوير مخبَّأةٍ

ورسومُ
حتى إن شِيخَتَ
وشابت أوداجُك
وحوتك الكَبْرَةُ
وتسرب نور العينين
وهزلت رجلاك على الدربِ المهْدومِ
خبيء عينيك بمنظارٍ
وامسك عكازًا
وتذكَّرْ أن امرأتين بمنتصف السكةِ ذات نهارٍ
جررتاك إلى درج خشبيٍّ
فصعدتَ به
وكأنك تسمو
يا إبراهيم.

الدليل

فاجأني

وكنت أرقب انزواء خيط الشمس فوق الحائط

الجيري

لم يكن أطول مني

كان مثلي

غير أن الشمس حرّفته

فاستحال مثل البلح الإبريم

قلت:

هذه الترفة يا ابن أمي لا يحدها حد

فكيف يا ترى أقدر أن أصيد منها بطة؟

وكيف أضرب الماء بكفتي

مثلما يفعل خلاني

لكي أسبح عكس الريح؟

أو أطلع نخلة

لكي أنام في جريدها؟

فقال:

هذا هين

فهل رأيت نخلة تطير؟

هل رأيت جبلا يخطو إلى مقبرة؟

وهل عرفت أن في السماء ناقه مأمورة

تسير وحدها

إلى حاجاتها

نظرت للسماء

كانت مثلما عهدتها

فقلت:

أينها؟

وقال:

هل رأيت قبل اليوم برطماناً

إذا حدقت في زجاجها رأيت بقرا

وقريةً

وبرسيما

وألف جدول يسبح فيه السمك الأحمر

فوق بركة من القطيفة الخضراء

قال:

هل تريد أن ترى

فقلت:

حبذا

فقال:

إن رأيت الشمس غرّبتُ إلى رواحها
أنتني إلى السياج
عند مدخل القبور
كي ترى الذي حكيْتُ
وارتقت الشمس حتى غرّبتُ إلى رواحها
ورحت للسياج
كان يكسر البوص الذي يرتص بامتداد مرأى العين
حتى أحدث انفراجةً صغيرةً
تتيح لي أرى
وقال لي:
تعال
واقتربتُ
بيدي الاثنتين كنت أبعد البوصات كي أرى
حدقتُ

كان النخلُ
كان الجبل الذي يسير
كانت الناقةُ
كان البقر المرشوشُ
والبرسيمُ
كان مركبُ
وكان بحر لا نهائياً
وأغلقت على المشهد عينيَّ
وسرت كالضيرِ
عدت
وحدي
أيها الخلان
إن البطة التي اصطدتم فقيرةً
وإن عومكم في الماء

ليس غير خبط كفتين
غاب عنهما الحنين كله
وإن صاحبي الذي قد حرّفته الشمس
فاستحال مثل البلح الإبريم
يعرف الهواء كله
فاتَّبِعُوا خطاي
كي تروا كما رأيت
واصطحبتهم
فرجتهم من انفراجة البوص الذي يرتص
لم يروا
أشرت للناقة في عليائها
أشرت للقري
وللقطيفة الخضراء
لم يروا

وقفلوا إلى بيوتهم
ليضربوا الماء
ويصطادوا الأوز والبط
ويطلعوا النخيل.

خَاتِمَةٌ لَمْ يَقُلْ بِهَا إِلَيَّ

إلى الرفاق: نزار سمك ومدحت أبو بكر وحازم شحاتة وصالح سعد
ومحسن مصيلحي

أول الأمر ظننا أن هذي الناز
حبيكةٌ قدرها المخرجُ في زاوية العرض
لكي تَأْكُلَ بعضاً من فضاء النص
أو تعكس ظلاً خافتاً
للبطل الغضبان في تجواله
بين شخوص ناحلين
وفتيةٍ زَوَّارٍ
لكنها ابتدأت تميلُ

وتنتشي

تعلو

وكان الظل يكبر

(يا لروعة مشهد الظل الذي ينساب

وهو يميل من فوق الجدار)

مست جسمنا

كنا نحس تشقق الجلد

ولكنا تسمرنا

وغشانا انهار

إن إليّ ليس يقصد مطلقاً أن يحرق النقاد

أدركنا بأن الأمر ملتبس علينا

أن حرق الجلد جزء من كلام النصّ

أولغة الحوار

تعبير إضافي ومرتل

يكنّي بالتشققِ عن تراسلِ فكرةٍ ما
بين عين الناقد اللاقط للحركات
في كرسيه العاجي
وبين حريق من يتفوه الكلمات
مصهورا تماما
في ثياب شخوص إلي
الطالعين إلى النهارُ
فضحكنا
علت النارُ
ودارت في الحلوق
وفي أصابعنا الكئنازُ
وهممنا أن نهش النار عن أجسادنا
لكن روعة مشهد الخاتمة الكبرى التي
قال بها إلي

تجلت
وأزاحت خنقة الدخان في الأعين
والحلق
وقامت وحدها
في مستطيل العرض
وامتد لسان الناظر
كي يأكل بعضاً من فضاء النص
أو يعكس ظلاً خافتاً
للبطل الغضبان في تجواله
بين شخوص ناحلين
وفتية زوّار
وتجلّت بين أمكنة
يجللها أسى الماضي
وتذكارات من مروا على أرواحنا

واقطعوا خبزتهم ناشفة
من توقنا الصادي
إلى قطفِ الثمارِ
يا لروعة مشهد الخاتمة الكبرى التي
قال بها إلي
وغنتها صبايا الفرح
راقصةً
على دق الطبول
وعزفة الأوتار.

.....

* إلي هو مؤلف النص المسرحي الذي كان يعرض ليلة الحريق على
مسرح قصر ثقافة بني سويف في الخامس من سبتمبر ٢٠٠٥

خُطْوَةٌ أَحْيَرِيَّةٌ لِأُمَّ الْفُقَرَاءِ

لأين تذهبين يا ربيبة القرى؟
لقمة الجبال
لي فيها مآربُ انتويتها
فكيف تصعدين للذرى؟
سأكتري سفينةً
تعبّر بي البحرَ الكبيرَ
ثم أنثر القارورة التي اشتريتها
على مياه البحر
كي يصيرَ ليس خائناً
وليس يغرقُ الدموعُ في عيوني

إنني خبأتها
فهل إذا أتاك الليل وحده
ألا تخافين الكرى؟
أخافه
لكنها خوفتي التي أنا انتظرتُها
ألن تحني للثرى؟
كسّر أضلاعي الثرى
وعبّ العيونَ بالرمالِ
خرّم الفؤادَ بالبعادِ والوصالِ
حتى قتّل الحكاياتِ التي أحببْتُها
بذا ستقطعين بيننا العرى
كلا فإنني رتّقتُها
فهل ستبصريننا
وتعرفين حال من باع ومن شرى

وسوف أعطيكُم من العلا صفائح الخبز الطريِّ
والكلامَ مغسولاً
لكي يصبَّ في قلوب من رقت نساءم الحنينِ
في عيونهم ليعرفوكم
وحكايةً
لكي تغنوا في المساء الطويلِ
إنني ألفتها
وحينما يقوم شوقنا إليك في قلوبنا
ماذا نقول يا رفيقة الكلام
أو إذا الدمع جرى؟
قفوا على أصابع الشوق النحيل
فسبحوا صدوركم به
وأنشدوا معا حكايتي
من أول النقر الخفيفِ فوق الباب

حتى سِدرة النهاية العليا
وخفقة الجناح في الفضاء
ينسلُّ في عروقكم وجدُّ هلاميُّ
فأغمضوا عيونكم عليه
واستبقوه سنتين آخرين
إنني ما متُّ
إنها طريقي التي سلكتها.

السِّمِيتْرُ

قال الكمساريُّ:

أأنت النازل في بيت السيميتْر؟

نعم

فمحطتك اقتربت

اذهب للبابِ

وحين ترى صوتَ الصافرةِ يفرِّقُ طيرَ القضبانِ

اقفز

وقفزت

ولم يك شيئاً أبصره

غير شجيرات السرو الممتدةِ

كنت إذا جاورتُ الشجرة كي أتظللَ في الورقِ

الأخضرِ

ينشفُ

لا يلقي ظلاً يصلح للعابر في يوليو

فإذا جاوزتُ الشجرة

عاد لها الورقُ الأخضرُ

يبرقُ في رائعة الظهرِ

ويمنح للدرب المترب ظلَّ السفرِ

ولم يكُ يظهر غير الشجرِ

وغير الدربِ المتربِ

كلتُ رجلاي

فقرصتُ

وناديتُ:

ألا يا أهل البلدة

إني أبحث عن بيت أبي
غاصت رجلي في الدرب المترب
فتمددتُ
ونمتُ
ودق على كتفي رجلٌ وكأني أعرفه:
انهض يا جَوَّابِ الآفاقِ
أنا أنتظركُ
أوهذي "بيت السيمير"؟
نعم
أين بيوت الناس؟
وأين الناس؟
وأين مطارح أجدادي؟
في آخر هذا الدرب على أطراف القريةِ
أو تعرفُ بيتَ أبي؟

كنتُ صديقَ أبيك وجدك
فتعال معي
ولأين؟
لدار أبيك وجدك
فأنا أنتظرُكَ لأدلكَ
ولقد أوقفني الوقافُ هنا من أجلكَ
ماذا تفعل في هذا القفر الموحش؟
أكل من طبقِ النَّبَقِ
وأشربُ من خمرِ التمرِ
وأمشي في خطرِ المطرِ
وأنعس في همسِ الشمسِ
وأسهر في الليلاتِ
جوار خليلاتي
أستمع إلى ألحانِ الحانِ

ولكني لا أجد على مرمى البصر الحانَ
ولا أجد النبقَ
ولا خمر التمرِ
إذا سرتَ جوارِي
وتظللتَ بظلي
وتلفعتَ بما أتلفَعُ
لعرفتَ الأسرارَ جميعا
فاخلع قمصانك
والبس هذا الثوبَ الأبيضَ
واتبعني
ومشيتُ على إثر خطاه في الثوب الأبيضِ
كنت إذا سار إلى دربٍ
ضاق الدربُ
إلى أن وصل إلى تجويفِ

في حائطةٍ

وقف على ركنتها

ودعاني كي أدخلَ

فحبوت

كما يحبو الطفلُ لكي أدخلَ

قلت له:

يا عرَّافَ دهاليزِ السككِ

ويا من تستمع إلى ألحانِ الحانِ

الثوبُ الأبيضُ يمنعني أن أتحركَ

فإذا ما جئتَ بطبقِ النبقِ

فكيف سأكله؟

قال:

أنا استدعيتُك لما وقفتُ شمسُكُ على حدِ البحرِ

مواقيتُك تَمَّتْ

وأنا أعطيتُك ما أعطيتُ أباك وجدك
أغلقُ فوهةَ التجويفِ
واحدُ ثرثرةِ الجوابين
ودعني
فالوقَّافُ سيوقفني في الغدِ
من أجلِ الجوابِ القادمِ
أما عن خمر التمر
وهمس الشمس
وألحان الحانِ
فهذا مندورٌ بمناقير الطير النقَّارةِ
في خشب الصدرِ.

الْكَاتِبُ

الكاتب يكتبُ فوق المكتبِ
كفٌ سارحةٌ
وعيونٌ متلهفةٌ
وفؤادٌ يدمعُ
يكتب رجلاً _ مثلاً _ في وحدته
يشرب قهوته
ويفكر في شيء ما
_ امرأةٍ مثلاً أو وطنٍ _
ويظل يحدقُ في سقفِ الحجرة
حتى يفجأه الموتُ

ويمد الخط بطول الصفحة

يقلب ورقته

ويتمتم :

ما أحلى التبغ

بعد كتابة هذا المقطع .

.....

الكاتب في وحدته يشعل تبغته

ويفكر في شيء ما

_ امرأة مثلاً أو وطن _

ويظل يحدق في سقف الحجرة

حتى

يفجأه الموت.

حِكَايَةُ مَكْرُورَةَ

جلس الصياد تحت الشجرة
عدته خيشٌ وجزْمَةٌ وشبكةٌ
يسند جذعه لجذعها
يقتسمان الوقت
والهوا العاري
وعطر النهر
إن جاع يصيد سمكة
ثم يشويها على نارته
وإن ظما عب بكفيه من النهر
وإن جاءته غفوة

ينام في ظلال الشجرة المشتبكة
يحوط رأسه غردان
لف منقاريهما الغناء
والقطر
وحفنة الضياء
يصعدان للذرا
ويهبطان حتى يلمسا أحلامه الخفيفة المرتبكة
كأن يجيئان بخيطٍ ما من الأعالي
يملآن الأمكنة.

.....
مر عليه ذو الحوائط الخربة
والذكريات المتعبة
رأه من نافذة العربة
تبادلا تحيةً خفيفةً

وكلما مشى بسيارته
حدق في مرآته الصغيرة التي إلى جواره
رأه جالسا فيها
وحوله الهوا العارى
وعطر النهر
والغردانِ في مسعاهما
وهكذا
في كل يومٍ عندما تضمه الحوائط الخربة
وتحتويه الذكريات المتعبة
يبصر خيطا نازلا من الأعالي
خيطا شفيفا لا يُرى
ولا تطاله يداه في حالته المضطربة.

الَّنَّاحِثُ

حين تحركت المنحوتةُ قالت للناحت:
ما أجملني
لما أخطر في طرقات الناس العاديين
وما أبهى هاتين العينين
وما أشهى هذا الصدرُ
ما أحلاني
لما أنثني مثل إلهة عشقٍ
تتسلى بقلوب رعاياها
فيصيب الألسنَ خرسٌ
ويصيب الأنفسَ سحرٌ

المنحوتة تتجول في خائنة الأعين
أو في خفقان قلوب البشريين
كطيفِ صَوْرٍ
ها هي خطت الخطوات الأولى
والناحت يتبعها
ويللم ما يتساقط في مشيتها
من كرزٍ
أو دفلٍ
أو شعزٍ
ويحاول أن يرجعه لمناطقه الأولى
في منحنيات المنحوتة فوق العين
وحول الثغر
لكن الجواله
تستبق الخطو

كأن تفترض مواعيد مؤجلةً
أولكأن تستبق الدهرُ
والناحت يبدو وكأن يتكسّر فيه الخطوُ
ويأتي أفواجٌ وفرادى
يلتفون حوالها
حتى تتسع الهوة بين المنحوتة والناحتِ
والناحتُ يتباعد
يتباعد
يتباعد
حتى يصبح كالنقطةِ
في آخر مرمى العين
وحتى لا نقدّرُ أن نُبصِرَ إلا آثار الخطوات
المقتولة
فوق الجسر.

الرّسالةُ

قال:

دع الوقت

ودع تشريقك وتصاويرك ونهارك يبرق

في رائعة الظهري

وقابلني عند البحرِ

ذهبت

نططت على سور البحر

فلم أراه

ومشيتُ

أحادي خبط الموج لرمل الشط

وكننت أطوح زبد البحر بقدمي اليسرى

وأفتش عنه

حتى بان بعيدا جدا

فأشرت له وزعقت:

أنا هنا

قال:

تعال لنعبر للشط الآخر

قلت:

وأين المركبُ فأنا لا أعرف أسبح؟

قال:

أنا أنتظرك منذ زمان

فأنا أبغي أن أعبر للشط الآخر

لكني أعرف أنك تقدر أن تعبر بي

فرد الشال الملفوف على رأسي فوق الماء

وقال:

الآن اخط معي فوق الشال

وقفنا فوق الشال المفرد

وكان يعوم ويتموج

لكننا كنا نتسند بالكوع

وبالأكتاف

وبالأيدي

كان يغني ويصفر باللحن الساري

ويرد تحية طير البحر

وكان يميل إلى الماء ويغرف بيديه

ويرش على السمك القافز

حتى قاربنا الشط الآخر

فإذا هو يقفز فوق رمال الشط

اهتز الشال

كأن كانت قدماه هما سر الشال

فقلت:

لماذا تركني وحدي

قال:

الورد له ميعاد

وأنا قطّافُ الورد

ووقتك متروك لك

فارجع لتصاويرك

ولتشريقتك

ونهارك يبرق في رائحة الظهر

فقلت:

ولكن الشال يميل

وأخشى أن يلتف على قدمي

فأنشغل بربطته

لا أقدر لما يبصرني الطير الطائر فوق البحر
أرد تحيته
وأغني وأصفر باللحن الساري
قال:
لقد صقّرتُ أنا
حتى فرغ اللحن
وحتى طار الطير
ولن يصحبك برحلتك سوى السمك القافز
فاحذر منه
أما أنا
فأنا لي بعض حوائج في هذا الدغل
وفي هذا العشب
أنا مأمور بمواقيتي
كان يكلمني وهو يزبح الأفرع بيديه

كي ينفذ

حتى نفذ

وحتى لم أقدر أستمع إلى باقي قوله

واهتز الشال

وكان السمك القافز يقترب

وموج البحر يلف على كفي ورجلي

وكنت أغني

لكني لا أجد اللحن.

السَّاقِي

ترك الناس العطشانين

أشار بأن قفْ

قرب قربته لي

قال:

افتح فمك لكي ترشفْ

دلى فوهة القربة فوق لساني

ولعقت الفوهة

ولم أجد الماء

فقال:

رُويتَ؟

فقلتُ:

وأين الماءُ

أزاح القربة فوق الكتفُ

مسح على شعري

وابتسم

وركب الجسر ليلحق بالنهر الجاري

قبل يجفُّ

جاء العطشانون

وقالوا:

كيف ترى طعام الماء؟

فقلت:

قويٌّ

قالوا:

ما معنى أن تسري قطرات الماء بجسمك

يا من جريت خير الماء

فقلت:

كمثل هسيس الورق الوارف فوق الشجر

يخبط فيه نسيم الصيفُ

قالوا:

زدنا

قلت :

ومثل فراشات تقبل نحو النور

تغني

وترفُّ

وصعدتُ إلى جبلي

وحدي

أسترقُّ خطايَ إلى عطشِ القلبِ المخطوفِ

أنا الصادي والشريانُ

أميل على فرح الغنوة
وأحاول من فرط النشوة
ألا أُخْطَفُ.

دَرْبُ السَّرَابِ

ذلك الفجرُ خَبَطَ في جنباتِ الجدوعِ

ولاحُ

فإلى أينَ يُمكنُ للقدمينِ المُعبَّأتينِ بخرمِ التواريخِ

أن يتجاذبَ خَطَوْهُمَا نَقْرُ

يقبعونَ وراءَ الدهاليزِ

مُسْتَتِرِينَ

إلى أينَ يُمكنُ أن يخطفَ الدربُ حُلْمَهُمَا

وكانهما ضيِّقانِ بهذا البراحِ

إلى أينَ يا رجلا جاوز الأربعينِ

وخبَّر أصحابَه في ضُحَى قرويِّ المشاويرِ

أن التي تتهادى على الفجرِ
ظامنةً للقصيدةِ
ليس لها في الممراتِ مُنتجعٌ
يتسكَّنه الياسمينُ
ويصبحُ مُتَّكأً للأقاحِ
وليس لها من زمانِ الحرائقِ
غير تَارجحِ ظلينِ
يستبقان المسافة للضوءِ
بعد افتتانِ الظلاماتِ
تبرقُ بين المقامِ
وبين الرواحِ
هي ليس لها من زمانِ الحرائقِ
غير تَارجحِ ظلينِ
من شمعدانٍ صغيرِ

يُتِيحُ لِعَيْنَيْنِ رِيَّانَتَيْنِ
طَرِيقَ الْهَوَى وَالصَّبَابَةِ
يَمْنَحُ لِيْلَهُمَا فَتْنَةَ الْإِفْتِضَاحِ
إِنَّ الْفَضَاءَاتِ بُيَّيَّةُ الطَّعْمِ
وَالخَطُو مُرْتَهَنُ
بِحَدِيقَةٍ مِنْ تَشْوُفٍ لِلْبَرْتَقَالِيِّ
وَالْأَحْمَرِ الْمَتَمَوِّجِ
يَا أَيُّهَا الشَّمْعِدَانُ
اسْتَرْقُ لِلشَّفِيفَةِ بَعْضَ غِنَاءِ الْمُحِبِّينِ
بَعْضَ الْمَوَاوِيلِ مَسْكُونَةً بِالْحَنِينِ
عَلَى دَرَجِ الصَّحْرَاءِ الَّتِي
تَتَزَيَّأُ
بِعَطْرِ الْهَوَى الْمَسْتَبَاحِ
فَإِنَّ الَّذِي جَاوَزَ الْأَرْبَعِينَ

وخبَّر أصحابه بحكايات كُوبَيْنِ من قهوةٍ
قبل أن يدلقَ الوجدُ بُنَّهما
سيمرُّ على دَرَجِ الصحراءِ
كأنَّ شاردٌ من كتابِ الأغاني
بفتش بين خيامِ القوافلِ عن قمرٍ
خبئوه بهودجِ قافلةٍ
تتستر فيها الصبايا الملاحِ
كأنَّ كان يصحبُ "طرفه" في سفرٍ للمليكِ
سيقتلهُ
فيضللُّهُ
ويقول له:
يا رفيق الغوايةِ
إن عطاياك مكنوزةٌ بين كفِّ المليكِ
وكفِّ الوزيرِ

فَسِرُّ

وَيُعْرَجُ بَيْنَ الْهَضَابِ الثَّقَالِ

وَبَيْنَ خِيوطِ الصَّبَاحِ

لِيَنْتَظِرَ الْمَرْأَةَ الْأَرْبَعَائِيَّةَ الْفَرِحِ

حَتَّى يَهْشَّ بِأَشْعَارِهِ

صَهْدًا عَرَبِيًّا الرَّمَالِ

عَنْ امْرَأَةٍ

تَتَزَيَّا بِحَنْطَتِهَا

فِي طَرِيقِ الرِّوَاخِ.

سَارِقُ الْخُطَا

أصعد درجا
يصعد بي إليك
من عشرين عاما كنت أرتقيه
فرحا
كأنما أصعد في أرجوحة
كان معي عشبٌ يحوط خطوتي
وفراشاتٌ
تدور حول وجهي
كنت أسند الباب
بكعب رجلي

وأعبيء النهار كله
في راحتك.

.....

أصعد درجا
يصعد بي إليك
حطت الزهور في شُبَّاكِ الدوّارِ
حتى دَوَّخ العطرُ مدارالسقفِ
أنتِ ما تزالين كما أنتِ
النهارُ من زمانه القديم
صاحِ
ورفوف الكتبِ تحتوي الحكايات التي
على مرافيء البحر
ولا يزال مطر الآحاد والثلاثاءات
عطشانا

يدور حول ناهديك.

.....
ألوقت طالع إلى ميقاته العالي
فلا تحدقي كثيرا في ملامحي
فإن رجلا سواي
من يصعد ذلك الدرَج.

دَيْمُومَةُ الْعَاشِقِ

مدقوقةٌ على الجدارِ
أللوحةُ التي يحدها شريطٌ باهتٌ
من الجهات كلها
على الحواف مطرٌ منهمرٌ
يلامس الإطارَ
وغيمةٌ كبيرةٌ
كأنها تمشي
كأنها تميلُ
وليس ثمَّ شجرٌ
ولا قطارٌ

وَنَمَشٌ يَنْقَرُ حُدُودَهَا السُّفْلَى كُلَّهَا
كَأَنَّهُ قَبِيلَةٌ مِنَ النَّمْلِ الَّتِي يَسِيرُ
فِي طَرِيقِهِ الطَّوِيلِ
فِي الْعَمَقِ
ثُمَّ رَجُلٌ
مُنْحَدِرٌ مِنَ الْأَعَالِي
تَتَّبِعُهُ حَرِيقَةٌ
فَلَا هُوَ اسْتَدَارَ
عَنْ دَرَبِهَا
وَلَا اسْتَطَاعَتْ التَّهَامَ جَسْمَهُ النَّحِيلِ
لَهُ سَمَاتٌ عَاشِقٌ مَكْسَرٌ الْخُطَا
فِي جِيدِهِ تَمِيمَةٌ
كَأَنَّهَا تَذَكَرُ
مِنْ امْرَأَةٍ

أعطته ذات ليلة حكايةً منقوصةً
أو من رجلٍ
طوقه بها
في لحظة الخسارِ
عيناه في اتجاهنا
أنى ذهبنا
تتابعاننا
وتمنحاننا الرغبة في الترحالِ
فإن تلاقى العيون بالعيون
كأنها النصال قد تكسرت
على النصالِ
كأنه يلحُّ في الشكوى
وحوله الرمالُ
والرمالُ

والرمال .

.....

أَلْجِدَارُ جَدُّدُوا طِلَاءَهُ

وَوَسَّعُوا نَافِذَةَ الْحِجْرَةِ

وَوَغَيَّرُوا الْبَسَاطَ وَالْمَقَاعِدَ

مَرَّةً

وَمَرَّةً

وَمَرَّةً

وَالرَّجُلُ الْمَكْسَرُ الْخُطَا

بِرْغَمِ الشَّمْعَدَانِ الْكَهْرِبَائِيِّ الَّذِي قَدْ عَلَّقُوهُ

عَنْ يَمِينِهِ

وَالشَّمْعَدَانِ الْكَهْرِبَائِيِّ الَّذِي قَدْ عَلَّقُوهُ

عَنْ يَسَارِهِ

مَا زَالَ بَعْدَ نِصْفِ قَرْنٍ كَامِلٍ

يواصلُ

انحداره

ويلجُ

في الشكوى.

فَتَاةُ عَدَنُ

لَقِيَتْهَا يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ
وَكَانَتْ تَشْتَرِي بِفِضَّةِ الْحَنِينِ
زُورَقَيْنِ سَابِحَيْنِ فِي بَحْرِ وَحِيدٍ
قَالَتْ:
الْمَهَارُ كُلُّهُ لَنَا
فَجَرَّبَ شَمْسَهُ مَعِي
وَجَرَّبَ أُخْرِيَاتِ شَمْسِهِ فِي أَضْطِعِي
وَحِينَ صَارَ الْبَحْرُ ضَيْقًا عَلَى حَوَافِّ غُرْبَتَيْنَا
غَرَّقَ الرَّذَاذُ الْمَالِحُ الْمَسْكُوبُ رَاحَتَيْنَا
رَفَعَتْ يَمِينَهَا

كَأَنَّهَا تَسْتَوْقِفُ الْوَقْتَ الَّذِي
فَاجَأَ مَهْرَجَانَ الْمَاءِ فِي حُنُوهِ
وَبَعَثَرَتْ نَشِيجَهَا عَلَيَّ يَدَيَّ
قَالَتْ:

سَرَبَ الْمَاءُ الْحَنِينَ كُلَّهُ لِنَاهِدَيَّ
قُلْتُ:

لَا يَخُونُ الْمَوْجُ عَاشِقِيهِ
يَا رَبِيبَةَ النَّدَى
فَصَدَّقِي الْمَدَى
لَكِنَّهَا كَذَّبَتِ الطُّيُورَ كُلَّهَا
وَالسَّمَكَ الْمَبْلُولَ
وَالأُورَ
كَانَ صَوْتُهَا الْجَرِيحُ
فِي دَمِي يَصِيحُ

مِنْ بَدْءِ الثُّلَاثَاءِ الَّذِي هَرَبْتُهُ بَيْنَ سُقُوقِ الْعُمَرِ
حَتَّى سَافَرْتُ إِلَى عَدَنَ.

.....

أَمْرُ بَيْنِ الْوَقْتِ
أَصْطَادُ الثُّلَاثَاءِ الَّذِي يَغْبُرُنِي
أَرْقُبُهُ لَعَلَّهُ يَرْقُبُنِي
أَمْنَحُهُ مِنْ قِشْرَتِي جُرْحًا
وَمِنْ دَمِي مِلْحًا
وَأَخْتِي خَلْفَ الشُّجَيْرَاتِ الَّتِي
أَعْرِفُ أَنَّهَا تَزْدَانُ فِي صَبِيحَةِ الْأَحَادِ
تَمْنَحُ الْأَفْرَاحَ لِلْأَسْمَاءِ وَالْأَجْسَادِ
أَوْ تَسْتَقْبِلُ الطُّيُورَ فِي الْمَهْجِيعِ
عَلَّهْ يُضِلُّ خَطْوَهُ إِلَى دُمُوعِي
أَسْتَجِيرُ بِالْعُشَاقِ فِي هَسِيهِمْ

وَبِالسُّرَّاقِ فِي حَثِيثِهِمْ
وَبِالْقَوَافِلِ الَّتِي تُبَعِّثُ النَّاسَ عَلَى الْبِلَادِ
أَوْ تَخْتَطِفُ النَّهَارَ لِلسَّوَادِ
وَالْبَنِينَ لِلْمُنُونِ
وَأَوْشُوشِ الْحَمَائِمِ الَّتِي تَحُومُ فِي سَفْفِ الثُّلَاثَاءِ
الْحَنُونِ:
مَا الَّذِي يَقُودُ نَظْرَةَ الْغَزَالَةِ الَّتِي تَخْتَالُ بِاِكْتِمَالِ
فَرْجِهَا
بَيْنَ الرُّهُورِ
لِعَذَابِ الْكَرْكَدَنْ.

.....
يُرَاقِبُ الْوَحِيدُ مِنْ شُرْفَتِهِ
تَتَابَعُ الدُّخَانِ
فِي انْفِرَاجَةِ الْأَغْصَانِ

ثُمَّ يُغْلِقُ الشُّبَّكَ
وَهُوَ يَفْرِدُ الشُّبَّكَ
بَيْنَ طُرْقَةِ الْمُطْبَخِ وَالنَّهْوِ الطَّوِيلِ
عَلَّهْ يَصْطَادُ بَعْضَ حُلْمِ نَاجِلِ
فِي نَوْمِهِ الْبَخِيلِ
ثُمَّ يَفْرِدُ الْمِلاَةَ الَّتِي انزوت على هواءِ البَحْرِ
الصَّقِيلِ
وَأَنْكِمَاشَةَ الْبَدَنِ.

قَاطِعُ الْأَشْجَارِ

تأتي مفككة الأزرار
صاعدة
درجا يطلع راكبه لحطاب
ينضو ثيابا بكف دربت أبدا
على اجتلاء جذوع الشجرِ
في الغاب
وبكفه الأخرى يزيح ستارة
ويرد خوف الهوا شراعة البابِ
ويطعم الجسد المصقول خبزته
محروقة

من جوى صهاد وجوابِ
يسقيه خمрте مبلولة بَرَدًا
قد رُشَّ من مطعمِ حانِ
وشَرَابِ
وتستوي في يديه ما بها خطأ
كأنما هُيِّئَتْ لمزاجِ أربابِ
العين أسرة
والنهد ذو أربِ
والروح تحضر في زي لغِيَابِ
ويبدأ الجدل المعهود من زمنِ
ما بين قانعةٍ ترضى
ومرتابِ.

وَصَالٌ

قبل أن ينتوي الفجرُ هذا الوصالُ
خبَّطت في ذؤاباتِ أشجاره فضةً
من حنينِ الزوالِ
فترفق بعضها من الوقت
وارتسمت في خرائطه شجراتُ
وقام عن العرش
تختالُ هامتهُ في الجلالِ
ومشى ملكاً
قزحيَّ اللآلِ
كعمود من النور

مندھشا كصغار الحيارى
بريئا كبدء الخطايا
له في أصابع من يتشوفه أرب
فيشير ولا يتكلم
لكنه يتبدى طويلا وراء الظلال
خطا بهدوء على أول الجسر
متئدا
واثقا
وجريئا
وحلوا السؤال
وجرب أول سيدة قابلته
ودس بمعطفها ورقا خشنا
واستوى بعد تطويحة الجسد المرين الغض
محض افتتان

ومحضَ جمالٍ

وخطا

كإلهٍ تيقن من أنثوية واحدة من رعاياه

فارتجفت راحتاه

وشد الخطا في اتجاه المياه التي تتزوَّقُ

ما بين حالٍ وحالٍ.

.....

وعلى أول الجسر

كانت تجرب سيدهُ خطوها

وتفرق بعضها من الورق الخشبي على كائنات الصباح

الذي قبل أن ينتوي

ارتسمت في خرائطه شجرات طوال

فشرَّق في جهة الغرب

حلوا

وضيئاً
ومستعجلاً آية النور
تجلو الصخورَ الثقالُ
وتتلو سرائرها في شرائح هذا الظلام
وهذي الليالُ
ولخطوته وقعها
وروائحه شبك للعصافير
تشدو على نايتها
ويداه موضأتانِ
بخمر الوصال.

الْعَاشِقُ

خائفٌ من مصافحةِ الندماءِ

فاقدٌ يدهُ

ويمرُّ

كأنْ لا يمرُّ

ويقطف من جرحه وردةً

كل يومٍ

مُحَرِّقَةً بالدماءِ

ويقذفها لهواءِ

إذا ما تداعى

رأيت الطريق منقطة بدمٍ

لا يرد الكلام
وليس له أيَّة
يستدل بها رجلٌ آخرٌ من قبيلته
ليزورَ مواعيدَهُ
ويوفِّي نذورَ الهواءِ
وإن ابتداءَ الصيفِ يصفُرُ
في شجرٍ يتكرَّرُ
يمشي
وحيدا
يغني
كأنْ سكنت مقلتيه الربابةُ
مستعجلا غدهُ
ويُطيلُ الغناءَ
ويتمتم

حتى كأنّ تستطيع ترى معه أحداً آخرًا
و كأنّ تستطيع تتابع ظلين
يقتسمان المسافة
والوقت
لكنه وحده.

قَوْمَةٌ كَذُوبٌ

مرت امرأتان على شرفة الأربعين
جوار حشيش الحقول
على رجلين
يجوبان أقبية الذكريات
ويحتطبان الطلول
فتبسمتا
مثلما تتبسم عصفورتان
تطيران في غير ما مقصد
في الفضاء الطويل
فاستفاقا

كما يستفيق حزنان
مسهما فجأة جرح ناين
يغترقان من الدمع
يحترقان أسيّ ورحيل
كان صوتهما ناشفا من معاقرة الظلمات
فقالا:

أأيّتها المرأتان
انتظرنا كما رَدَحًا لم تجيئا
تخشّب فيه الكلام
ومرّر طعم المدام
فهبيا إلى خلوتين
تشوقتا لهسيس الأصابع
حيث نقول
وحيث تقولان

نختبر الوقت من أول الشمس
نجترح الفرح من أول اللمس
نمنح ما تبغيان
ونأخذ ما تمنحان
نصول
نجول
واستدارا لكي يخرجنا من تجاويف أقبية الذكريات
وقاما إلى أول الجسر
لم يجدنا غير ظلين
ليسا يبينان
قالا:
فهل مرتا بجوار حشيش الحقول؟
أم انا تداهمننا الذكريات الكثيرة في القبو؟
قالا:

لنرجع إلى قبونا
ونعبيء أيامنا بالكثير من الذكريات
فإن كثيرا من السنوات ستأتي علينا
ولا ينبغي أن تكون أصابعنا خاوياتٍ
ولا أن تكون جيوب القميص
بلا قصص
نتسلى بها حين تأتي لنا الظلماتُ
فلا نستبين السبيل.

التَّحَرُّقُ

دائماً ما أخاف ركوبَ الأسانسيرِ
أصعدُ في الدرجاتِ التي تتتالى
وأنهجُ
أسند قلبي بكفي
وأرتاح بعضاً من الوقتِ في بسطة الطابق الخامسِ
المستديرةِ
أمسح عن جبتي عرقي المتهطلَ باليدِ
أسند كوعي على شرفة المنورِ الداخليِّ
أراقب حبل الغسيلِ
وجري القطاطِ إلى سلةٍ للقمامةِ

زفرة إمراة تتعري وراء الستارة
تأخذ حصتها من ملاحقة الذكريات
أنفَضُ كُمَّ القميصِ
أواصل خطوي على الدرجاتِ
أشد الدرابزين في مهلِ
وأصعِدُ رجلي
ولكنهم
دفعوني لباب الأسانسير
كانوا كثيرين
يزدحمون لكي يصعدوا
وأنا أتلقَّتُ
أبحث عن مخرجِ
وإذا بي وجها لوجه أمام الأسانسيرِ
حتى دُفِعْتُ إلى جوفه

انغلق البابُ
دارت بي الأرضُ
كنت أشد القميصَ
وأنظر في أعين الراكبينَ
ولكنهم لم يرونيَ
في الطابق الثالثِ
انسل منا عشيقان مشتبكين
وفي الطابق السابع الشيخُ والطفلُ وامرأتان
وفي الطابق العاشر اندفعوا كلهم
أنا حاولت أتبعهم
غير أنهم أغلقوا الباب
كانت مرايا الأسانسير تعكس وجهها غريبا
تُبَيِّنُني لي عجوزا
وكنت أدق:

افتحوا الباب

كان الأسانسير يصعد

يصعد

أخبط رجلي على الأرض كي يتوقف

لكنه ظل يصعد

حتى تكورت في الركن

حتى ضممت ذراعيَّ في ركبتيَّ

وحين نظرت من الفرجة المستطيلة

لم أجد الدرجات التي تتتالي

ولم أجد المهو

لم أجد الناسَ

كان الأسانسير يترك سطح البناية

يترك سطح البنايات أجمعها

صاعدا بي

رأيت المجرات تعبرني
والنجوم العرايا
رأيت الغيوم مفتتةً تتقاطرُ
والنارَ محروقةً يتقرب منها الأسانسيرُ
ها هو يدخل فيه
ووحدي.

خَاتِمَةُ الْقَوْلِ

نارُنا هذه تضيءُ لمن يسري بليل

لكنها

لا تُنِيلُ

هذه حالنا

وما وصل العلمُ إلينا

وكل حالٍ تحولُ.

ابن القاسم الشهرزوري

مؤلفات السّمّاح عبد الله

- أولاً : دواوين شعرية
- ٠١ - شتاءة للعاشق الوحيد
 - ٠٢ - سقيفة الفقراء
 - ٠٣ - حصيرة البارحة
 - ٠٤ - خديجة بنت الضحى الوسيح
 - ٠٥ - مكابدات سيد المتعبين
 - ٠٦ - الواحدون
 - ٠٧ - أحوال الحاكي
 - ٠٨ - مديح العالية
 - ٠٩ - خلاخيل العابرة
 - ١٠ - الرجل بالغليون في مشهده الأخير

- ١١ - ثلاثاءات عابر سبيل
١٢ - متى يأتي الجيش العربي؟!
١٣ - قبو الثلاثين
١٤ - تصاوير ليلة الظماً
١٥ - طرف من أخبار الحاكي
١٦ - نثر الدر

ثانيا : المسرح الشعري
أغنية إلى النهار

ثالثا : المختارات الشعرية
عن الأشياء نفسها

رابعا: مختارات من الشعر العربي
١ - مختارات من شعر محمود سامي البارودي

- ٢ - مختارات من شعر أمل دنقل
٣ - مرثي الإمام محمد عبده

خامسا: إعداد وتقديم

- ١ - ديوان ولي الدين يكن
٢ - ديوان إسماعيل صبري

سادسا : شعر الأطفال

- ١ - شجرة الأسبوع
٢ - خير الأمور الوسط
٣ - الأغاني الصغيرة
٤ - أغنية الشجرة
٥ - بستان الشهور
٦ - قط في المرأة

سابعاً: فصول من السيرة الذاتية
الرحل ذو الجلباب الأزرق الباهت

ثامناً: كتب مجمعة:

عطلة الشجرات، مجلد يضم ثمانية دواوين، هي: نثر
الدر، طرف من أخبار الحاكي، تصاوير ليلة الظمأ، قبو
الثلاثين، متى يأتي الجيش العربي؟، ثلاثاءات عابر سبيل،
الرجل بالغليون في مشهده الأخير، خلاخيل العابرة.

تاسعاً : كتب عن الشاعر

- ١ - وجوه بين صوابي مقارنة شعرية لديوان الواحدون
أسرار الجراح دار التلاقي للكتاب ٢٠١٠
- ٢ - الزمن ودلالاته في شعر السماح عبد الله دراسة
نقدية د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

٣ - قراءة الثورة بأثر رجعي دراسة في قصائد خديجة
للشاعر السمّاح عبد الله د. جمال الجزيري دار كتابات
جديدة للنشر ٢٠١٥

٤ - تجليات الزمن في ديوان "مديح العالية" للشاعر
السمّاح عبد الله د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة
للنشر ٢٠١٥

عاشرا: بيانات:

مدير بيت الشعر المصري، مركز إبداع الست وسيلة.
هاتف شخصي: ٠١٠٠٧٥٥٨١١٧.

بريد إلكتروني: alsammah63@yahoo.com

المحتوى

- ٠٠٦ إشارة
- ٠٠٧ إهداءة
- ٠٠٩ خُطْبَةُ "طَرْفٌ مِنْ أَخْبَارِ الْحَاكِي
- ٠١٣ بدء القول

- ٠١٥ مُحَاذَاةُ الْأَلْفِ
- ٠١٩ السِّرُّ
- ٠٢٣ الذِّهَابُ إِلَى شَجَرِ الزَّيْتُونِ
- ٠٢٧ الْحَائِكُ
- ٠٣٣ الرَّائِي

- .٣٥ دَرَجُ إِبرَاهِيمَ
 .٤٩ الدَّلِيلُ
 .٥٧ خَاتِمَةٌ لَمْ يَقُلْ بِهَا إِلَيَّ
 .٦٣ خُطْوَةٌ أَخَيْرِيَّةٌ لِأَمِّ الْمُقْرَاءِ
 .٦٧ أَلْسِيمِيْتَرُ
 .٧٥ أَلْكَاتِبُ
 .٧٧ حِكَايَةُ مَكْرُورَةٍ
 .٨١ أَلْنَاحِتُ
 .٨٥ أَلرِّسَالَةُ
 .٩١ أَلسَّاقِي
 .٩٥ دَرَبُ السَّرَابِ
 ١٠١ سَارِقُوا الخُطَا
 ١٠٥ دَيْمُومَةُ العَاشِقِ
 ١١١ فَتَاةُ عَدَنُ

- ١١٧ قَاطِعُ الْأَشْجَارِ
١١٩ وَصَالٌ
١٢٣ الْعَاشِقُ
١٢٧ قَوْمَةٌ كَذُوبٌ
١٣١ التَّحْرِيقُ

١٣٧ خاتمة القول
١٣٩ مؤلفات السَّمَّاحِ عَبْدِ اللَّهِ